

علناً في مقالة صدرت في صحيفة «البرافدا» بتاريخ ٨ نيسان (أبريل) ١٩٧٦ بتوقيع «مراقب»، جاء فيه: «إن الكرملين' يثني على الرئيس حافظ الأسد قيامه بـ 'دور الوسيط' الذي يلعبه في لبنان ويقدم 'دعمه الكامل لطموحات الشعب اللبناني المشروعة' لكي يصبح سيد قدره، ولحل الأزمة الحالية من خلال وسائل سلمية»^(٧٥). فمن هذا النص، تستشف المحاولة السوفياتية لاحتباط التصعيد الذي ينويه الأسد للنزاع. غير أن سوريا فرضت على السوفيات أمراً واقعاً في حزيران (يونيو) ١٩٧٦ أخرجهم كثيراً، نجم عن كون الطرفين، سوريا وم.ت.ف.، حليفين للاتحاد السوفياتي ومن أقوى انصاره في الشرق الأوسط، ومزودين بسلاحه^(٧٦). يضاف إلى هذا، توقيت السوريين لتدخلهم بحيث يتزامن مع وصول رئيس الوزراء السوفياتي، الكسي كوسيفغن، إلى سوريا من أجل إعطاء الانطباع بأن السوفيات متفقون مع الأسد على ما يحدث^(٧٧). إنما، اتضح فيما بعد، وخلال الشهر ذاته، أن الاتحاد السوفياتي لم يعط موافقته على التدخل العسكري السوري في لبنان لمواجهة اليسار اللبناني وم.ت.ف.^(٧٨) بل على العكس تماماً، فإن هذا التدخل لم يرض السوفيات بتاتاً. فقد تصرف الأسد على نحو متعارض مع نصيحة القيادة السوفياتية التي رفضت أضعاف م.ت.ف. من خلال انتكاسة سياسية وعسكرية^(٧٩). وفي مقابل المعارضة السوفياتية هذه، كانت الولايات المتحدة الاميركية ترى أن الأسد يلعب «دوراً بناءً في سعيه لمنع توجه لبنان نحو التطرف والراديكالية»^(٨٠). ويستنتج من خلال الموقفين، السوفياتي والأميركي، إزاء هذه الأزمة، أن خطة الأسد للتدخل في لبنان، وعلى النحو الذي جرى، كانت بمثابة تعديل للسياسة السورية لصالح الولايات المتحدة، وبشكل غير مباشر لصالح إسرائيل^(٨١). خلال المواجهة السورية - الفلسطينية التي امتدت من حزيران (يونيو) إلى تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٦، بدأ وكأن الموقف الذي اتخذته السوفيات من النزاع كان فيه بعض التناقض، خاصة وأنهم تحركوا ببطء وحذر، مما عكس جهلهم فيما يتعلق بتطور الأحداث وتسارعها^(٨٢).

وفي ٩ حزيران (يونيو) ١٩٧٦، اعرب السوفيات عن ارتعاجهم واستيائهم من سوريا، وذلك في تصريح شديد اللهجة عما هو مألوف لوكالة «تاس» نشر في صحيفة «البرافدا»، وجاء فيه: «لقد أعلنت سوريا، مراراً، أنها أرسلت قواتها إلى لبنان من أجل المساعدة على وضع حد لاراقة الدماء. لكن، من الواضح أن اراقاة الدماء في لبنان ما زالت مستمرة، بل هي في الواقع قد ازادت»^(٨٣). بالإضافة إلى هذا، دعا السوفيات جميع الأطراف المتورطة في الأحداث اللبنانية «إلى وقف إطلاق النار وسفك الدماء»^(٨٤)، كما اعربوا عن اسفهم لكون الفلسطينيين «يبددون مواردهم على حرب دامية بين الأخوة...»^(٨٥). أن أهمية هذا التصريح تكمن، أولاً في كونه ينتقد ويعترض على نوايا واهداف سوريا في لبنان، وكان هذا الانتقاد السوفياتي هو الأول في سلسلة من سبعة انتقادات رسمية صدرت في وقت لاحق^(٨٦)؛ وثانياً، لقد حمل التصريح السوفياتي الأسد مسؤولية تصعيد النزاع في لبنان؛ وثالثاً، لقد القى بدعم السوفيات المعنوي وراء م.ت.ف. وحلفائها اللبنانيين^(٨٧)؛ وأخيراً، ونتيجة لهذا التصريح، فترت العلاقات السورية - السوفياتية بين ليلة وضحاها، لكنها لم تنقطع نهائياً بسبب عدم رغبة السوفيات في الحاق ضرر نهائي بالعلاقات مع سوريا في حال اراد الأسد إعادة النظر في وضعه، فابقوا خياراتهم مفتوحة على مدى شهر حزيران (يونيو) بكامله على أمل أن يقوم الرئيس السوري بتعديل موقفه، ولكن دون جدوى. فشهر تموز (يوليو) ١٩٧٦ حمل معه تساؤلات سوفياتية عديدة حول نوايا السوريين، وزاد في قلقهم المتعلق بتوجه الأحداث في لبنان^(٨٨). وسبب الارتياح الذي شعر به الجانب السوفياتي عائد إلى الزيارة غير الناجحة التي قام بها وزير الخارجية السوري، عبد الحلیم خدام، إلى موسكو على الأثر وحسب تقرير ورد في